الاتجاهات المفسرة للظاهرة الاجرامية

لم تشهد دراسة الجريمة دراسة علمية إلا منذ النصف الثاني من القرن 19 عشر ، قبل ذلك شهدت بعض المحاولات البعيدة عن قواعد البحث العلمي سواء في البحث عن اسبابها أو معالجتها. و بدأت الدراسة في مجال الجريمة و فق منطلق احصائي يبحث في العوامل التي تقف وراء حدوتها و الذي استخلص انها عوامل اجتماعية محضا ، لتتوالى فيما بعد الدراسات و الاتجاهات التي حاولت مقاربة الظاهرة الاجرامية.

إن العوامل الاجرامية كثيرة ومتشعبة ورغم ذلك صنفها الباحثين إلى ثلاث فئات كبرى تندرج ضمنها اتجاهات ومقاربات. الفئة الاولى تمثلت في عوامل فردية والتي تعرف أيضا بالعوامل الداخلية ، والثانية عوامل اجتماعية والتي تعرف باسم عوامل خارجية. أما الفئة الثالثة فهي الفئة التي تجمع بين كل تلك العوامل السابقة الذكر وسنجدها ضمن الاتجاه التكاملي ، الذي لا يعترف بعامل واحد في كل جريمة ، سواء كان ذلك السبب فرديا أو اجتماعيا ،كل تلك الاتجاهات حاولت فهم طبيعة السلوك الاجرامي و الأسباب التي تقف وراءه ، و هو ما أطرح اتجاهات نظرية عديدة. المقياس يبحث في العوامل الذاتية اي الداخلية فقط بين ما هو بيولوجي و نفسي و يستبعد العوامل الخارجية اي العوامل الاجتماعية

1- الاتجاهات البيولوجية

يعتمد هذا الاتجاه في تفسيره للسلوك الاجرامي على النواحي التكوينية أي دراسة الأسباب العضوية التي تؤدي إلى ارتكاب الشخص جريمة ، ولقد توالت عدة نظريات عضوية ، تباينت بعضها و اتفق البعض الاخر و لكن حمل هذا الاتجاه تفسيرا عضوي بحث ، وسنقدم أكثر النظريات العضوية انتشارا في تفسير السلوك الاجرامي.

← ويعد **الاتجاه العضوي** اول الاتجاهات التي درست الجريمة دراسة علمية ، ومضمون هذا الاتجاه أنه يربط بين بعض المميزات الجسمية و الخلقية و خاصة في الوجه و الجمجمة ، و بين أنواع النقص العقلي و الاضطرابات الخلقية أو أشكال الانحراف ، و تعرف هذه النظرية باسم " النظرية الجسمية "

و في دراسة علامات الارتداد و الربط بين الخصائص العضوية التي يمتاز بها المجرمون ونوع الجرائم المرتكبة من قبلهم ، قام **شارلس جورنج CHARLES GORING** بإجراء دراسته على عينة شملت 3000 من المجرمين و على مجموعة ضابطة تضم طلاب جامعات و مجموعة من الضباط في الجيش البريطاني و بعض العاملين و عدد من المرضى المتواجدين في المستشفيات.

← واستخلص **جورنج GORING** عدم وجود علامات أو أوصاف تميز مجرمي كل طائفة عن الطائفة الأخرى أو تميز المجرمون عن غيرهم ، و عدم وجود أي شذوذ في الملامح الخارجية التي تميز المجرم عن غيره ، إلا أنه بالرغم من ذلك فإن المجرمون يتميزون عموما عن غيرهم بنقص في الوزن يتراوح بين ثلاثة إلى سبع ارطال ، وقصر في القامة يتراوح بين بوصة إلى بوصتين ، و أن هذا النقص البدني له أهمية لأنه يمثل انحطاط عام موروث لدى

المجرمين يكمن الميل إلى الجريمة ، وهو يظهر في صفاتهم و في قياس مستواهم العقلي و أن للوراثة دور كبير في ذلك.[1]

الا ان صاحب هذا الاتجاه سيزار لمبروزو (1835–1909)مؤسس المدرسة الوضعية وأول من فسر السلوك الاجرامي .كان ضابطا بجيش ثم عمل مدرسا ومديرا بكلية الأمراض العقلية في جامعة بفيا. ثم انتقل ليدرس الطب الشرعي في جامعة تورينو. وكانت بداية دراسته من خلال تشريح جثة قاطع طريق ايطالي يدعى فييلا ، حيث وجد في مؤخرة جبهته فراغا مجوفا شبيها بذلك الذي يوجد في الحيوان القردة ، وعليه استخلص نظريته التي صاغها في كتابه الشهير الإنسان المجرم عام 1876. وعموما تلت دراسات لمبورزو نفس هذا المنحى التشريحي الذي انطلق منه ، حيث قام بفحص عدد من الجنود الأخيار والأشرار ومقارنتهم ، وتوصل إلى وجود صفات تشريحية وتكوينية لدى الأشرار ، لم يجدها عند الجنود الأخيار. وهو ما جعله يستنتج أن الانسان المجرم ورث صفات الانسان البدائي ، ويتضح شذوذه هذا من خلال ملامحه وصفاته الجسمية. ولقد حدد الصفات الجسمية التي يتميز بها المجرم ومن بينها : عدم انتظام في شكل الجمجمة ، ضيق في الجبهة ، بروز عضمتي الخدين ، عدم انتظام شكل الأسنان ، غزارة في شعر الجسم ، الطول المفرط في الذراعين.. وغيرها و مثال عن ذلك يقول لومبروزو أن من له ميل إلى جرائم الاغتصاب الجنسي يتميز بطول أذنيه وانخساف دماغه وزيغ وتقارب عينيه وانبعاج وضخامة أنفه وطول ذقنه. ونشير إلى أن معظم هذه الصفات وجدها في المجرم فييلا. ولقد قسم لمبروزو المجرمين إلى 05 فئات :

المجرمون بالفطرة: الذين تتوفر لديهم أكثر من 05 سمات تشريحية سبق ذكرها. وعلى هذا ذكر لمبروزو أن من تتوفر لديه هذه الخصائص الجسدية يجب عزل كتدبير احترازي. وكوسيلة للوقاية من الاجرام.

المجرمون بالعادة : هم من تتوفر فيهم الخصائص التشريحية السابق الذكر ، ولكنه عادة يكتسبون الاجرام منذ حداثتهم وأغلبهم من محترفي السرقة.

المجرمون بالصدفة : الأشخاص الذين لا تتوفر الميل الطبيعي للإجرام ،ولكنهم يتميزون بالضعف الديني ونقص مقاومة المؤثرات الخارجية. وقد يرتكبون هذه الجرائم حبا في تقليد غيرهم من المجرمين.

المجرمون بالعاطفة : من يرتكبون الجرائم نتيجة عوامل فجائية نظرا لتميزهم بمزاج عصبي متقلب وحاد ، إلا ان هذا النوع لديه الشعور بالذنب.والجرائم الذي يرتكبها الاعتداء على الأشخاص.

المجرمون المجانين : وهم المصابون بأمراض عقلية ، ولقد رأى لمبروزو أن ابعادهم عن المجتمع ضروري لأنه يصعب علاجهم .

ثم تلت أعمال لمبروزو أعمال اخرى حاولت تقديم تفسيرا للسلوك الاجرامي والتي ربطته بنشاط الغدد والمروفولوجيا . وهو ما أتت به أعمال شلدون الذي وضع طريقة يتم التمييز بها بين المجرمين وغيرهم من الغير مجرمين ، وما

[1] - محمد شلال حبيب ، **اصول علم الاجرام** ، مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، ط2 ، 1990، ص : 83.

خلص إليه أن الجانحين يختلفون عن غير الجانحين من حيث الخلايا الجسمية والأنماط المزاجية والنفسية . ويضع هذا الاتجاه اعتبارات اخرى هي أن الاستعدادات التكوينية التي توجد لدى الفرد من تشوهات وضعف في القدرات العقلية ونقص في القدرات الجسمية هي عائق من توافق الفرد مع البيئة المحيطة به ، مما يجعلها كمحركات للخرج عن معايير المجتمع والتمرد عليه. ويذهب هذا الاتجاه إلى ابعد من ذلك وهو اعطاء أهمية للعامل الوراثي والعائلي للإجرام . فهناك بعض العلماء من يربط الاجرام بوجود صبغي جنسي ذكري زائد عند الرجل فيكون XYY بدل من XY . وهناك من يبحث في شجرة العائلة ليستنتج أن المجرم له أجداد مجرمين مثله غن لم يكونوا اخطر.

نقد : ان أهم نقد وجه لهذا الاتجاه هو سقوط لمبروزو ومؤيديه في خطأ التعميم. كونه فرضوا الحتمية البيولوجية وهذه الأخيرة تنظر الى الصفات السلوكية بوصفها انعكاس لما يحمله الفرد من إرث. صحيح أن هناك علاقة بين البناء الجسمي والبيولوجي للإنسان وبين السلوك الاجرامي ولكن العلاقة ليست سببية فمن الصعب تقبل فكرة وراثة السلوك الاجرامي من خلال الجينات . فلا يوجد في الواقع ما يسمى كروموزوم الاجرام ، لأن الجريمة لها خصائصها الاجتماعية والنفسية والثقافية . ولا ننسى تصور المجتمع للإجرام يتغير من وقت إلى أخر وبالاختلاف الظروف التي يمر بها. وهو ما يشكك في الاتجاه القائل : الجريمة خاصية تورث من الآباء إلى الأبناء. ومن غير المعقول أن نحكم على شخص لم يرتكب أي سلوك اجرامي أنه مجرم لأن ذقنه طويل او لأن شعر جسمه كثيف.....وغيرها من الصفات التي سبق ذكرها.

2- الاتجاهات النفسية

*** نظرية التحليلي النفسي :**

- **نظرية سيغموند فرويد** : و كان لمدرسة التحليل النفسي التي أسسها **سيغموند فرويد FREUD SIGMUND** الفضل الكبير في اظهار مدى أهمية سن الحداثة في بناء الخطوط و الأسس التي ترتكز عليها شخصية الفرد في المستقبل . ولقد أشار **فرويد FREUD** أن العنف بمختلف أشكاله ، غريزة فطرية ، و أن الغرائز هي قوة دافعة للشخصية تحدد الاتجاه الذي يأخذه السلوك. ويرى **فرويد FREUD** أن الحافز الأول في الغريزة الجنسية التي تحافظ على الحياة ، في حين يتمثل الحافز الثاني في العدوان وهو ايضا حافز بيولوجي فطري ، اي سلوك فطري غير متعلم ، يهدف إلى خفض التوتر ، فهو يظهر في حالة التي لم تلاقي فيها الحاجات البيولوجية الاشباع المطلوب - احباط – كما يظهر في صورة من صور تأكيد الذات ، وإذا ما فشلت هذه الأخيرة في احداث التكيف ، يؤدي ذلك إلى ثلاثة اضطرابات مختلفة : المرض النفسي أي العصاب ، أو الجناح أو الجريمة.

لقد وضع فرويد 3 للجهاز النفسي : الهو الأنا والأنا الأعلى ، كما يرى أن تكامل الشخصية و اتزانها يتوقفان على تنظيم قوى الصراع الناشئ بين 3 مكونات للجهاز النفسي. أي أن على الأنا أن ترضى الدوافع الفطرية أو الغريزية للهو شريطة أن لا يترتب على هذا شعور الفرد بالذنب الذي يحدثه الأنا الأعلى. فإذا نجح الأنا في

احداث التوافق نحن نقف أما حدود السواء ، وإذا فشل سندخل ضمن دائرة الاضطرابات العصابية أو الذهانية أو السلوك المنحرف والمضاد للمجتمع. وتسمى نظرية فرويد في ع الاجرام **نظريـة الاحسـاس بالـذنب** . و بتالي فالمجرم حسبه يعاني من حاجة ملحة للعقاب ولكي يتخلص من الشعور بالذنب الذي نشأ من الانفعالات اللاشعورية المكبوتة في المرحلة الأوديبية . وعليه تترتكب الجرائم من أجل نيل العقاب والتخلص من الاحساس بالذنب. وباختصار الجريمة حسب فرويد هي التعبير المباشر عن الحاجات الغريزية وتعبير رمزي عن الرغبات المكبوتة

- **نظرية أدلر** : والتي تعرف **نظرية الاحساس بالنقص أو الدونية**. (

ويرى **أدلر Adler** أن الانسان يعاني من عقدة النقص والسوي هو الذي يحل هذه العقدة من خلال التعويض في حين أن الغير سوي فهو الذي لا يستطيع التعويض أو يعوض بالدرجة مفرطة . يعتبر هذا العامل إذا وجد لدى الأطفال من بين العوامل التي تجعل الطفل قد ينتقل لمرحلة السلوك الإجرامي ، ذلك نتيجة غياب القدرة على التحمل وعلى الصبر لديهم ، و عدم كفاية تشبعهم بالقيم الأخلاقية و الروحية التي تغرس فيهم قبول واقع التفاوت بين الأشخاص. والشخص الذي يشعر بالظلم و القهر يرد الفعل بصورة عنيفة لصعوبة تحكمه في أعصابه ، و فقدانه للقدرة على كبح انفعالاته ، فيكون سلوكه منحرفا ومخالفا للقانون و معاديا للمجتمع. وهو أحد الصور الرمزية للتعبير عن المشاعر والميول المكبوتة ، تنشأ عن صراع كامن في اللاشعور مرده إحساس الإنسان بنقص في أعضائه الجسمانية أو مظهره الشخصي أو إحساسه بتدني مكانته الاجتماعية وإخفاقه في بلوغ ما كان يصبو إليه من آمال في الحياة.

- **الاتجاه السلوكي**

السلوكيون يرون أن معظم السلوكيات متعلمة وهي نتاج تفاعل الفرد مع البيئة ، و إن البيئة تحدد السلوك و إن السلوك الايجابي يرتفع معدل حدوثه مستقبلا ، ونتاج السلوك هي التي تقرر استمراره ، والسلوك يقوى إذا تم تعزيزه ، والسلوك الشاذ هو ثمرة الاشتراط السيئ ، ولذلك لا يوجد شخص شاذ ، وإنما هناك سلوك شاذ.[2] وعلى هذا فإن السلوكات الجانحة متعلمة ويمكن تعديلها وفقا لقوانين التعلم ، فالجنوح يعد خبرة اكتسبها الحدث بفعل المثيرات وتم تدعيم الاستجابة العدوانية بما يعزز لديه تكرار هذه الاستجابة العدوانية كلما تعرض لموقف محبط يثيره ، و فقا لهذا المنظور فهذه السلوكيات المتعلمة يمكن التحكم فيها وبتالي يمكن معالجتها من خلال منعها من الظهور من خلال إزالة نموذج السلوك المنحرف الذي تم تعلمه والذي استمر عن طريق التعزيز و استبداله من خلال إعادة بناء نموذج سلوكي متوافق و المعايير الاجتماعية ومن ثم تعزيزه لنضمن بقاءه.

[2] - نبيهه صالح السامراتي ، **مقدمة في علم النفس** ، دار زهران ، عمان ، 2013، ص : 51.

نظريــة دولار: من أنصار السلوكية وتعرف نظريته بالإحباط ، ويفسر الاجرام على أنه نتيجة عاملين وهما : الاحباط الذي يولد العدوانية ومن الخوف من العقاب التي تحاول الطبقة الغالبة أن تفرضه على الطبقة الأخرى. واستخلص إلى ما يلي :

←إذا كانت الإحباطات قليلة ، كان الانحراف قليل.

←إذا كانت الإحباطات كثيرة ، والخوف من العقاب كبير ، كان الانحراف قليل.

←إذا كانت الإحباطات كثيرة ، والخوف من العقاب قليل ، كان الانحراف كبير.

- الاتجاه المعرفي

- الانسان لديه استعداد بيولوجي لخلق و اشراك أفكار عميقة حول نفسه ، الاخرين و العالم المحيط به.

و ان هذه الأفكار بإمكانها أن تؤثر على المشاعر و السلوك، بعض أنماط التفكير تساهم في تحسين الذات ، الأهداف ، المشاعر ،السلوكات ، و أنماط اخرى من التفكير تكف و لا تطور الذات والمشاعر و السلوكات. ، و من الممكن تحديد وتقدير تلك الأنماط المختلفة من الأفكار ، كما أن تغيير تلك الأفكار يمكن من مساعد الفرد ليصبح أقل عرضة للاضطرابات المشاعر و السلوك و عليه تكون هذه الأفكار عميقة وجذرية في شخصية الفرد و تغييرها ينطوي على قدر كبير من الجهد المتواصل و الثابت.

وفقا لتلك المسلمات فالجريمة تنشأ عن التفكير المضطرب.

نموذج التعلم الاجتماعي لبنادورا يربط بين ما هو معرفي سلوكي

مثلما يتعلم الطفل السلوك العادي و السوي يتعلم السلوك الاجرامي و المنحرف وفق مجموعة من المبادئ من خلال ملاحظة السلوك التعلم بالملاحظة ثم تخزينه لكي يتم استرجاعه في الوقت المناسب شرط ان تكون هناك دافعية للسلوك اي ان هذا السلوك له اثر ونتائج .

فهو يشير إلى مبدأ التعزيز توجد عملية أخرى هي عملية التقمص حيث يتعلم الناس أنواع السلوك المختلفة من خلال مراقبة أفعال الآخرين. وحسبه :

- يمكن أن يتعلم الطفل الإجرام من عائلته.
- يمكن أن يتعلم الطفل الإجرام من محيطه المباشر (الرفاق ، الحضانة ، المدرسة ..)
- يمكن أن يتعلم الطفل الإجرام من وسائل الإعلام .

فملاحظة سلوك الاخرين وحدها كفيلة لتصبح نموذج للطفل يمكن تقليده ومحاكاته لاحقا وهذا كون عملية التعلم الاجتماعي تمر بمراحل تجعلها راسخة.

فإذا كانت المدرسة السلوكية ترى من السلوك مثير استجابة ادخل بندور مفهوم وسيط بين المثير و الاستجابة الا وهو المعرفة ليصبح السلوك نتاج تفاعل بين ما هو معرفي سلوكي في بيئة محددة هذه الاخيرة هي من تفرض نموذج معين يقوم الطفل باقتضائه .

و النمذجة هي كل التغييرات السلوكية و المعرفية و الانفعالية تنشا من ملاحظة نموذج ممارس من قبل الاخرين نموذج او عدة نماذج قبل يكون التعرض للنموذج مباشر من البيئة الحية او من خلال التلفزيون او بعض الصور وهو ما يعرف بالنموذج الرمزي.

– نظرية التحكم في الذات او التحكم الذاتي

يمتلك الفرد القدرة على التنظيم الذاتي عن طريق التحكم المباشر في سلوكهم وعن طريق اختيار او تغيير الظروف البيئية التي تؤثر على السلوك وهو من خلال تحديد معايير خاصة بالفرد اضبط سلوكه و تكون مرجع قيمي لهم من خلاله يقم سلوكه ، افكاره و يتحكم فيه.

تتفاعل الاحداث البيئية و العوامل الداخلية مع السلوك بطريقة متبادلة فالأفراد يستجيبون معرفيا و انفعاليا و سلوكيا الى الاحداث البيئية ومن خلال القدرات المعرفية يمارسون سلوكهم الذاتي .

والتحكم الذاتي هو ايضا كيف تكون علاقتي ليس مع ذاتي فقط بل و مع الاخرين ، كما ان التحكم يعني ان اتخذ قرار يكون مناسب في موقف اجتماعي معين كيف تكون ردة فعلي و تصرفاتي تجاه مثيرات البيئة الاجتماعية مناسبة أي التحكم في ذاتي.[3]

وبتالي جميع مظاهر السلوك الاجرامي و المنحرف حسب نظرية التحكم الذاتي تكون نتيجة العوامل الاتية

– غياب الانتباه الذاتي : نقصد به مدى وعي الفرد بنفسه ان يعرف نفسه و سلوكاته في مختلف المواقف معرفة دقيقة.

– عدم القدرة على التحكم بالانفعالات : وهنا نعني السيطرة على الانفعال و كيفية ادارته في مواقف مختلفة ن ونحن نعلم مدى قوة الانفعال و انعكاساته على السلوك بل و على الجسم ايضا ، فالانفعال الخوف اثناء الامتحان مثلا من شانه ان يزيد من دقات القلب و خلط عمل الجهاز الغدي مثلا ثم ينقص من اداء الفرد بشكل جيد وفعال.

– التعزيز السلبي للذات : و الذي يكون من خلال مكافأتها ، عدم مكافأة الذات يؤدي الى الغاء و اطفاء السلوك.

– عدم تقويم الذات و اصلاح سلوكاتها تماشيا مع السلوكات المقبولة اجتماعية.

– الاستسلام للإغراءات بمختلف اشكالها : بما فيها عدم القدرة على تاجيل اشباعات الذات الى وقتها المناسب.

نقد : بالرغم م رفض أصحاب المدرسة النفسية لمبدأ حتمية توريث الاجرام ، إلا أن هذه المدرسة وقعت في الخطأ ذاته مع الاختلاف في العامل من تكويني إلى نفسي ، وفرضا أننا سلمنا بهذا المنطلق النفسي ففي هذه الحالة علينا تغيير مصطلح مجرم إلى مريض ، ومصطلح عقاب إلى علاج.

[3] - ايمان عباس الخفاف ، الذكاء الانفعالي ، دار المناهج ، ، 2013 ، ص : 147.